نجوى الرسول ﷺ

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

(سورة المجادلة)

التحليل اللفظي

تفسّحوا: توسّعوا في المجلس وليفسح بعضكم عن بعض، من قولهم: افسح عني أي تنحّ، يقال: بلدة فسيحة، ومفازة فسيحة، ولك فيه فسحة أي سعة[1].

قال القرطبي: وفَسَح يَفْسَح مثل مَنَع يَمْنَع، أي وسّع في المجلس، وفَسُح يَفْسُح مثل كَرُم يكْرُم، أي صار واسعاً، ومنه مكان فسيح[2].

---

(١) اللسان، والصحاح ـ مادة (فسح)، وانظر الرازي ٨/١٦٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٧/٢٩٧.

انشزوا: انهضوا وارتفعوا، وأصله من النشز وهو المرتفع من الأرض.

قال في اللسان: النَّشْز: المرتفع من الأرض، ونشز الشيء: ارتفع، وتلّ ناشز: مرتفع، وفي التنزيل: ﴿وإذا قيل انشُزُوا فانشُزُوا﴾، قرأها الناس بكسر الشين، وأهلُ الحجاز يرفعونها، وهما لغتان ومعناه: إذا قيل انهضوا فانهضوا وقوموا[1].

درجات: أي منازل رفيعة، جمع درجة وهي الرفعة في المنزلة، مأخوذ من الدَّرج الذي يُرقى به إلى السطح.

قال في اللسان: والدَّرجة: الرفعة في المنزلة، والدَّرجة واحدة الدرجات، وهي الطبقات من المراتب، ودرجات الجنة: منازل أرفع من منازل[2].

نجواكم: النجوى مصدر بمعنى التناجي وهو المسارّة مأخوذة من (النَّجوة) وهي ما ارتفع من الأرض، فالمتناجيان يخلوان بسرّهما كخلوّ المرتفع من الأرض عما يتصل به[3].

وقيل: النجوى من المناجاة وهي الخلاص، وكأنّ المتناجيَيْن يتعاونان على أن يخلّص أحدهما الآخر[4].

ومعنى الآية: إذا أردتم مناجاة الرسول ﷺ لأمرٍ من الأمور فتصدقوا قبلها.

أطهر: أي أزكى لأنفسكم وأطيب عند الله، من الطهارة وهي التزكية.

أأشفقتم: الإشفاق: الخوف من المكروه، والمعنى: أخفتم وبخلتم بالصدقة، وشقّ ذلك عليكم؟.

---

(١) الألوسي ٢٨/٢٨، ولسان العرب ـ مادة (نشز).
(٢) لسان العرب ـ مادة (درج).
(٣) القرطبي ١٧/٢٩٠، والألوسي ٢٨/٢٣.
(٤) الألوسي ٢٨/٢٣، وانظر لسان العرب.

قال ابن عباس: (أأشفقْتُم) أي أبخلتم بالصدقة[1]. وهو استفهام معناه التقرير.

المعنى الإجمالي

يقول الله جلّ ثناؤه ما معناه: يا أيها المؤمنون إذا قيل لكم توسعوا في المجلس لإخوانكم القادمين فتوسّعوا لهم، وافسحوا لهم، حتى يأخذ القادم مكانه في المجلس، فإن ذلك سبب المودة والمحبة بينكم، ومدعاة للألفة وصفاء النفوس، وإذا فسحتم لهم فإنّ الله تعالى يفسح لكم في رحمته، وينوّر قلوبكم، ويوسّع عليكم في الدنيا والآخرة.

وإذا قيل لكم ــ أيها المؤمنون ــ انهضوا إلى الصلاة، والجهاد، وعمل الخير فانهضوا، أو قيل لكم قوموا من مقاعدكم للتوسعة على غيركم فأطيعوا، فإنّ الله تعالى يحبّ من عباده الطاعة، ويرفع درجات المؤمنين، والعلماء العاملين، الذين يبتغون بعلمهم وجه الله، فالعلماء ورثة الأنبياء، ومن يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين، وليست الرفعة عند الله تعالى بالسبق إلى صدور المجالس، وإنما هي بالعلم والإيمان.

ثم أمر تعالى عباده المؤمنين إذا أرادوا مناجاته عليه الصلاة والسلام لأمرٍ من الأمور، أن يتصدقوا قبل هذه المناجاة، تعظيماً لشأن الرسول ﷺ ونفعاً للفقراء، وتمييزاً بين المؤمن المخلص، والمنافق المراوغ، فإنّ ذلك أزكى للنفوس، وأطهر للقلوب، وأكرم عند الله تعالى، فإذا لم يتيسر للمؤمن الصدقة فلا بأس عليه ولا حرج.

ثم أخبر تعالى بأنّ عمل الخير كالصدقة وغيرها لا ينبغي أن يخاف منها الإنسان فقال ما معناه: أخفتم تقديم الصدقات لما فيها من إنفاق المال، فإذا لم تفعلوا ما أُمرتم به، وتاب الله عليكم ورخّص لكم في الترك، فأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة ولا تفرّطوا فيهما وفي سائر الطاعات لأن الله خبير بما تعملون.

---

(١) انظر القرطبي ١٧/٣٠٣.

سبب النزول

أولاً: روي أن النبي ﷺ كان يوم جمعة في الصفّة، وفي المكان ضيق، وكان عليه الصلاة والسلام يكرم أهل بدر من (المهاجرين والأنصار) فجاء ناس من أهل بدر، منهم (ثابت بن قيس بن شمّاس) وقد سُبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال النبي ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فردّ النبي ﷺ ثم سلّموا على القوم فردّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسّع لهم، فلم يفسحوا لهم، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فقال لبعض من حوله: قم يا فلان: ، ويا فلان، فأقام نفراً مقدار من قدم، فشقّ ذلك عليهم، وعرفت كراهيته في وجوههم، وقال المنافقون: ما عدل بإقامة من أخذ مجلسه، وأحبّ قربه لمن تأخر عن الحضور، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم. . .﴾[1].

ثانياً: وروي عن ابن عباس وقتادة: (أنّ قوماً من المسلمين كثرت مناجاتهم للرسول عليه الصلاة والسلام، في غير حاجة إلاّ لتظهر منزلتهم وكان ﷺ سمحاً لا يردّ أحداً فنزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول. . .﴾[2] الآية.

ثالثاً: وروي عن مقاتل: أنّ الأغنياء كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته، ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره عليه الصلاة والسلام طول جلوسهم ومناجاتهم، فنزلت الآية: ﴿إذا ناجيتم الرسول﴾[3].

وجوه القراءات

أولاً: قوله تعالى: ﴿إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس﴾، قرأ الجمهور (تفسّحوا) بتشديد السين، وقرأ قتادة والحسن (تفاسحوا)[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان، وانظر القرطبي ١٧/٢٩٧، والألوسي ٢٨/٢٨، وابن الجوزي ٨/١٩١، وانظر الرازي ٨/١٦٤.

(٢) البحر المحيط ٨/٢٣٧، والألوسي ٢٨/٣٠، والقرطبي ١٧/٣٠١.

(٣) الألوسي ٢٨/٣٠، وزاد المسير ٨/١٩٥.

(٤) القرطبي ١٧/٢٩٧، والألوسي ٢٨/٢٧، والبحر المحيط ٨/٢٣٧.

ثانياً: قرأ الجمهور (في المجلس) بالإفراد على إرادة معنى الجمع، وقرأ عاصم وقتادة (المجالس) بالجمع[1].

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿انشُزُوا فانشُزُوا﴾، قرأ الجمهور بضم الشين فيهما، وقرأ حمزة والكسائي (انشِزُوا فانشِزُوا) بكسر السين فيهما. قال الفراء: وهما لغتان[2]، مثل: يعكُفون ويعرِشُون.

رابعاً: قرأ الجمهور ﴿فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ بالإفراد، وقرئ (صدقات) بالجمع لجمع المخاطبين[3].

وجوه الإعراب

أولاً: قوله تعالى: ﴿يفسح الله لكم﴾ يفسحْ مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وحرّك بالكسر للتخلُّص من التقاء الساكنيْن، ومثله (يرفعِ الله) مجزوم لأنه جواب الأمر كأنه قيل: إن تنشُزوا يرفع الله عز وجلّ المؤمنين جزاء امتثالهم درجات.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾، قال أبو حيان: معطوف على الذين آمنوا عطف صفات.

والمعنى: يرفع الله المؤمنين العلماء درجات، فالوصفان لذاتٍ واحدة

واختار الطيبي: أن يكون في اللفظ تقدير يناسب المقام نحو أن يقال: يرفع الله الذين آمنوا في الدنيا بالنصر وحسن الذكر، ويرفع الذين أوتوا العلم درجات تعظيماً لهم[4].

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿أأشفقتم أن تقدّموا﴾، أنْ وما بعدها في تأويل مصدر مفعول لـ (أشفقتم) والله أعلم.

---

(١) زاد المسير ٨/١٩٢، والألوسي ٢٨/٢٧، والقرطبي ١٧/٢٩٧.

(٢) الرازي ٨/١٦٥، والقرطبي ١٧/٢٩٩، والألوسي ٢٨/٢٨، وابن الجوزي ٨/١٩٢.

(٣) روح المعاني للألوسي ٢٨/٣١، والبحر المحيط ٨/٢٣٧.

(٤) روح المعاني ٢٨/٢٩.

لطائف التفسير

اللطيفة الأولى: لما نهى سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عمَّا يكون سبباً للتباغض والتنافر، أمرهم في هذه الآيات بما يكون سبباً لزيادة المحبة والمودّة، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم شديدي الحرص على القرب من رسول الله ﷺ والجلوس بين يديه حرصاً على استماع كلامه، فأمروا بالتوسعة على إخوانهم في المجلس تطييباً لقلوبهم، وهذا هو السرّ في مجيء هذه الآيات عقب آيات النهي عن التناجي بالإثم والعدوان.

اللطيفة الثانية: ذكر تعالى في أول الآية مكانة المؤمنين، ثمّ عطف عليها بذكر مكانة العلماء، والعطفُ في مثل هذا الموطن هو من باب (عطف الخاص على العام) تعظيماً لشأن العلماء كأنهم جنس آخر، ولذا أعيد اسم الموصول في النظم الكريم في قوله تعالى: ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾.

اللطيفة الثالثة: الأمر للمؤمنين بالصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ فيه فوائد عديدة:

أولها: تعظيم الرسول ﷺ وتعظيم مناجاته.

ثانيها: نفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة.

ثالثها: الزجر عن الإفراط في الأسئلة لرسول الله ﷺ.

رابعها: التمييز بين المخلص والمنافق، ومحب الدنيا ومحب الآخرة.

اللطيفة الرابعة: قوله تعالى: ﴿فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة﴾. في هذا اللفظ استعارة يسميها علماء البلاغة (استعارة تمثيلية)، وأصل التركيب يستعمل فيمن له يدان كالإنسان فقد استعار اليدين للنجوى، وقيل إنها (استعارة مكنية) حيث شبّه النجوى بإنسان، وحذف المشبّه به وهو الإنسان، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليدان على سبيل الاستعارة المكنية ومثله قوله تعالى: ﴿بين يدي عذاب شديد﴾ وذكرُ اليدين تخييل.

اللطيفة الخامسة: أشاد القرآن بمنزلة العلماء الرفيعة، ومكانتهم السامية عند

الله تعالى، ويكفيهم هذا الشرف والفخر، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليُحيي به الإسلام، فبَيْنه وبين النبيِّين درجة»[1]. وقد ذكر بعض الظرفاء مناظرة رمزية بين (العقل والعلم) نذكرها لطرافتها، قال بعض الأدباء:

علمُ العليم وعقلُ العاقل اختلفا ... من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا؟
فالعلم قال: أنا أدركتُ غايته ... والعقل قال: أنا الرحمن بي عُرفا
فأفصح العلمُ إفصاحاً وقال له: ... بآيِنا الله في فرقانه اتصفا؟
فبان للعقل أنَّ (العلمَ) سيِّدهُ ... فقبّلَ (العقلُ) رأسَ العلم وانصرفا

الأحكام الشرعية

الحكم الأول: ما المراد بـ (المجالس) في الآية الكريمة؟

اختلف المفسّرون في المراد بالمجلس على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المراد به مجلس الرسول ﷺ خاصة، وهو قول مجاهد.

والثاني: أنّ المراد به مجلس الحرب، ومقاعد القتال، حيث كانوا لحرصهم على الشهادة يأبون التوسع، وهو قول ابن عباس، والحسن.

والثالث: أن المراد به مجالس الذكر كلّها، وهو قول قتادة وهو الأرجح.

قال الطبري: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنّ الله تعالى ذكرُه أمر المؤمنين، أن يتفسّحوا في المجلس، ولم يخصّص بذلك مجلس النبي ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له: مجلس، فذلك على جميع المجالس، من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال)[2].

وقال القرطبي: (الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب، أو ذكر، أو مجلس يوم الجمعة، فإنّ كل واحد أحقّ بمكانه الذي سبق إليه)[3].

---

(١) أخرجه الدارمي عن عمر بن كثير في كتاب الاستئذان، وأحمد في المسند ٢/١٧.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٩٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٩٧، وانظر تفسير الطبري.

الحكم الثاني: هل يباح الجلوس مكان الشخص بدون إذنه؟

دلَّت الآية الكريمة على وجوب التوسع في المجلس للقادم، وهذا من مكارم الأخلاق التي أرشد إليها الإسلام، ولكن لا يباح للإنسان أن يأمر غيره بالقيام ليجلس مجلسه لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثمّ يجلس فيه، ولكن تفسّحوا وتوسّعوا»(١).

وقد جرى الحكم أنّ من سبق إلى مباح فهو أولى به، والمجلسُ من هذا المباح، وعلى القادم أن يجلس حيث انتهى به المجلس، إلّا أن الآداب الاجتماعية تقضي على الناس بتقديم أولي (الفضل والعلم) وبذلك جرى عرف الناس، وعوائدهم في القديم والحديث.

ولقد كان هذا الأدب السامي شأن الصحابة في مجلس الرسول ﷺ فكانوا يُقدّمون بالهجرة، وبالعلم، وبالسنّ، وما فعله النبي عليه السلام في جماعة (ثابت بن قيس) من أهل بدر، فإنما كان لتعليم الناس مكارم الأخلاق، وخاصة مع أهل الفضل والعلم، من المهاجرين والأنصار.

(أ) روى ابن العربي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (بينا رسول الله ﷺ في المسجد وقد طاف به أصحابه، إذ أقبل علي بن أبي طالب فوقف وسلّم، ثمّ نظر مجلساً يشبهه، فنظر رسول الله ﷺ في وجوه أصحابه أيّهم يوسّع له، وكان أبو بكر جالساً على يمين النبي ﷺ فتزحزح له عن محله، وقال: ها هنا يا أبا الحسن!.

فجلس بين النبي ﷺ وبين أبي بكر، فقال: يا أبا بكر، إنما يعرف الفضل، لأهل الفضل، ذوو الفضل)(٢).

(ب) وثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب كان يقدّم عبد الله بن عباس

---

(١) رواه البخاري ١١/٥٢ في الاستئذان، ومسلم في السلام برقم (٢١٧٧)، والترمذي برقم (٢٧٥٠)، وأبو داود برقم (٤٨٢٨)، كلاهما في الأدب.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي، الجزء الرابع، وانظر القرطبي ١٧/٣٠١.

على الصحابة، فكلّموه في ذلك فدعاهم ودعاه، وسألهم عن تفسير ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فسكتوا، فقال ابن عباس: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه إيّاه، فقال عمر: ما أعلم منها إلّا ما تعلم، ثم قال: بهذا قدّمت الفتى[1].

وإذا قام الإنسان من مجلسه لحاجة ثمّ رجع إليه فهو أحقّ بالمجلس لقوله عليه الصلاة والسلام: «من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به»[2].

الحكم الثالث: هل يجوز القيام للقادم إذا كان من أهل الفضل والصلاح؟

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز القيام للقادم، إذا كان مسلماً من أهل الفضل والصلاح على وجه التكريم، لأن احترام المسلم واجب، وتكريمه لدينه وصلاحه ممّا يدعو إليه الإسلام، لأنه سبيل المحبّة والمودة، وقد قال عليه السلام: «لا تحقّرن من المعروف شيئاً ولو أن تُكلّم أخاك وأنت منبسط إليه بوجهك»[3].

فالقيام للقادم جائز على وجه التكرمة، إن لم يكن فاسقاً، ولم يكن سبيلاً للكبرياء والخيلاء، وما لم يصبح ديدناً للإنسان عند كل دخول أو خروج، وفي كل حين وآن فعند ذلك يكره.

قال العلامة ابن كثير: (وقد اختلف الفقهاء، في جواز القيام للوارد إذا جاء، على أقوال، فمنهم من رخّص في ذلك محتجاً بحديث: «قوموا إلى سيّدكم». ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: «من أحبّ أن يتمثّل له الرجال قياماً

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة النصر ٨/٥٦٥، والترمذي في التفسير برقم (٣٣٥٩)، ولفظه عن ابن عباس قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنّ أحدهم وجد في نفسه...» الحديث.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في السلام برقم (٢١٧٩)، وابو داود في الأدب برقم (٤٨٥٣).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في البر برقم (٢٦٢٦)، بلفظ: «لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْقٍ»، ورواه الترمذي برقم (١٨٣٤) بنحو الرواية المذكورة.

فليتبَوّأ مقعده من النار»[1]. ومنهم من فصّل فقال: يجوز عند القدوم من سفر، وللحاكم في محل ولايته، كما دلّ عليه قصة (سعد بن معاذ) فإنه لما استقدمه النبي ﷺ حاكماً في بني قريظة فرآه مقبلاً قال للمسلمين: قوموا إلى سيّدكم، وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم[2].

أقول: جمهور العلماء على جواز القيام للقادم، إلا إذا كان فاسقاً، أو عاصياً أو مرتكباً لكبيرة، أو مشهوراً بالكبر، وحب الظهور، وأمّا ما استدل به بعضهم من منع القيام بحديث: من أحبّ أن يتمثّل له الناس قياماً...» الحديث فليس فيه دليل لهم، لأن الرسول عليه السلام لم يُطْلق اللفظ وإنما قيّده بوصف يدلّ على الكبرياء وحب الظهور «من أحبّ أن يتمثّل له الناس قياماً»، ولم يقل صلوات الله عليه: «من قام له الناس فليتبوأ مقعده من النار، ولا شكّ أنّ هذا الوصف لا ينطبق إلا على المتكبر المغرور، والفرق دقيق بين اللفظين فلا ينبغي أن يغفل عنه.

وأما ما يقوله بعضهم: من أنّ القيام ركن من أركان الصلاة، فلذلك يحرم، لأنه يشبه العبادة... إلخ، فهذا جهل مطبق لا يصدر من فقيه عالم يتصدى لاستنباط الأحكام!!

كيف والصلاة تشتمل على أركان كثيرة كالقعود، وقراءة القرآن، والتشهد، والصلاة على النبي ﷺ في بعض الأقوال ــ كما هو مذهب الإمام الشافعي ــ فهل يقول أحد: إن الجلوس بين يدي العالم حرام لأنه ركن من أركان الصلاة؟ وإن تلاوة القرآن لا تجوز أمام أحد لأنها ركن من أركان الصلاة؟ وإن الصلاة على النبي عليه السلام حرام في حضرة الناس لأنها ركن من أركان الصلاة؟!!

وقياسُ القيام على الركوع والسجود في الحرمة، قياسٌ مع الفارق، وهو قياس باطل، لأن الركوع والسجود لا يجوز لغير الله كما قال عليه السلام: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» وقد ورد في تحريمه النص

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في الأدب برقم (٢٧٥٦)، ورواه أبو داود، بلفظ: «من أحبّ أن يمثل له الناس قياماً...» برقم (٥٢٢٩)، وإسناده صحيح.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، الجزء الرابع ص ٣٤٨.

القاطع، أمّا القيام، والقعود، والاضطجاع، فليس من هذا القبيل، وكفانا الله شرّ الجهل، وحماقة المتطفلين على العلم والعلماء!!

الحكم الرابع: هل الصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ واجبة؟

اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة﴾، هل الأمر للوجوب أو الندب؟

فقال بعضهم: إنَّ الأمر للوجوب، ويؤيد هذا قوله تعالى في آخر الآية: ﴿فإن لم تجدوا فإنّ الله غفور رحيم﴾، ومثل هذا لا يُقال إلا في الواجبات التي لا يصح تركها.

وقال آخرون: إن الأمر للندب والاستحباب، وذلك لأنّ الله تعالى قال في الآية: ﴿ذلك خير لكم وأطهر﴾، ومثلُ هذا قرينة تصرف الأمر عن ظاهره، وهو إنما يستعمل في التطوع دون الفرض.

ومن جهة أخرى: فإنّ الله تعالى قال في الآية التي بعد هذه مباشرة ﴿أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات؟﴾، وهذا يزيل ما في الأمر الأول من احتمال الوجوب، ويبقى الأمر للندب[1].

واتفق العلماء على أن الآية منسوخة، نسختها الآية التي بعدها ﴿أأشفقتم أن تُقدّموا﴾، وقد اختلفوا في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ، فقيل: بقي التكليف عشرة أيام ثم نسخ، وقيل: ما بقي إلّا ساعة من النهار ثم نسخ.

وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: (إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم، فكلّما ناجيت الرسول ﷺ قدّمت بين يدي نجواي درهماً، ثمّ نُسختْ فلم يعمل بها أحد)[2].

قال القرطبي: (وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل، وما روي عن عليّ رضي الله عنه ضعيف، لأن الله تعالى قال: ﴿فإذْ لم تفعلوا﴾، وهذا يدلّ على أنّ

---

(١) انظر الأدلة بالتفصيل في الفخر الرازي ١٦٦/٨، والقرطبي ٣٠٢/١٧.

(٢) القرطبي ٣٠٢/١٧، والألوسي ٣١/٢٨، والجصاص ٤٢٨/٣.

أحداً لم يتصدّق بشيء، والله أعلم)[1].

ما ترشد إليه الآيات الكريمة

١ ــ وجوب التوسعة في المجلس للقادم لأنها من مكارم الأخلاق.

٢ ــ التوسعة للمؤمن في المجلس سببٌ لرحمة الله عز وجلّ وطريقٌ لرضوانه.

٣ ــ الرفعة عند الله والعزة والكرامة إنما تكون بالعلم والإيمان.

٤ ــ وجوب تعظيم الرسول ﷺ وعدم الإثقال عليه في المناجاة.

٥ ــ تقديم الصدقة قبل المناجاة مظهر من مظاهر تكريم الرسول ﷺ.

٦ ــ نسخ الأحكام الشرعية لمصلحة البشر تخفيف من الله تعالى على عباده.

٧ ــ الصلاة والزكاة أعظم أركان الإسلام ولهذا قرن القرآن الكريم بينهما في كثير من الآيات.

خاتمة البحث:

حكمة التشريع

عظَّم الله أمر رسوله، وأعلى قدره، ورفع منزلته، وأمر المؤمنين بتوقيره وإجلاله، وندبهم إلى الصدقة عند مناجاته، وقد كان بعض الناس يُثقل على رسول الله ﷺ، فيحدِّثه بكل ما يقع له في حياته، ويسأله عن كل صغيرة وكبيرة، ولا يراعي ظروف النبي ﷺ، فجاء القرآن حاثاً لهم على الصدقة، عندما يريد الواحد منهم أن يتحدث مع رسول الله عليه السلام، ليكون ذلك رادعاً للثقلاء عن الحديث في كل مسألة، والسؤال عن كل أمر عظيم أو حقير، وليكون عوناً للفقراء والمساكين، ثم خفَّف الله عن المسلمين، لأنهم تأدبوا بآداب القرآن، فنسخ الحكم عنهم، وجعله على سبيل الندب، لمن استطاع الصدقة، أو أراد الأجر والمثوبة، وبذلك وجَّه القرآن الكريم، أنظار المؤمنين إلى قدر هذا النبي العظيم، ومكانته السامية عند الله تعالى، ليجلّوه ويحترموه، ويعرفوا كيف ينبغي عليهم أن ينزلوه المنزلة الرفيعة، التي أنزله الله تعالى، وحقاً إنه لتوجيه عظيم!!

* * *

(١) القرطبي ١٧/٣٠٣.